

هل آية «الإبلاغ» تشمل كل ما أنزل على النبي (ص)، او تختص بإبلاغ ولاية أمير المؤمنين (ع)؟

السائلة: فاطمة موسوي

الجواب :

مقدمة :

الله تعالى يقول فى القرآن الكريم سورة المائدة هكذا:

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ .

و ترى الشيعة أن هذه الآية نزلت بعد عودة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع وأمر بتعيين الخليفة من بعده. و بعد نزول الآية في منطقة غدير خم قدم رسول الله أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم خليفته، و بايع الصحابة علي بن أبي طالب عليه السلام أميراً للمؤمنين و هنأوه.

و لما كانت هذه الآية ذات أهمية كبيرة، فإن معارضي أهل البيت (ع) بذلوا جهوداً كبيراً للخدشة فى دلالة الآية على ولاية أمير المؤمنين، و لهذه الغاية أثاروا الكثير من الشبهات. من جملتهم ابن تيمية الحراني على سبيل المثال، أثار الشبهات فى منهاج السنة، و ستفحص إحداها.

هو يقول فى منهاج السنة هكذا:

أنتم ادعيتم أنكم أثبتتم بالقرآن و القرآن ليس فى ظاهره ما يدل على ذلك أصلاً فإنه قال «بلغ ما أنزل إليك من ربك» و هذا اللفظ عام فى جميع ما أنزل إليه من ربه لا يدل على شيء معين .

فدعوى المدعى أن إمامة علي هي ممّا بلغها أو ممّا أمر بتبليغها لا تثبت بمجرد القرآن فإن القرآن ليس فيه دلالة على شيء معين فإن ثبت ذلك بالنقل كان ذلك إثباتاً بالخبر لا بالقرآن فمن ادعى أن القرآن يدل على أن إمامة علي ممّا أمر بتبليغها فقد افترى على القرآن فالقرآن لا يدل على ذلك عموماً و لا خصوصاً .

منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس (المتوفى 728 هـ) ج7، ص47، ناشر : مؤسسة قرطبة - 1406، الطبعة الأولى، تحقيق : د. محمد رشاد سالم .

محاوّر الشبهة :

1. و آية الإبلاغ تشمل كل ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا تختص بإبلاغ ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

2. بافتراض أن هذه الآية نزلت فى هذا المورد المعين، يجب إثبات هذا الأمر بمساعدة السنة؛ و عليه فإن ادعاء الشيعة أن امامة الإمام علي (ع) قد ثبتت بالقرآن مرفوض.

## دور شأن نزول الآيات في فهم آيات القرآن

و قد ذكر المفسرون و العلماء في علوم القرآن و حتى ابن تيمية نفسه أن لسبب نزول الآية دور حاسم في فهم آيات القرآن و تفسيرها. لذلك فقد عددوا فوائد ضرورية و مهمة لشأن نزول الآيات.

الزركشي يقول في لزوم معرفة اسباب النزول و فوائده هكذا:

ومنها: الوقوف علي المعني قال الشيخ أبو الفتح القشيري بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز وهو أمر تحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا .

البرهان في علوم القرآن ، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله (المتوفى 794 هـ) ج 1 ، ص 22 ، ناشر : دار المعرفة - بيروت - 1391، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .

الجدير بالذكر من كل هذه انه شخص ابن تيمية يقول هنا هكذا:

ومعرفة سبب النزول يعين علي فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب .

كتب و رسائل و فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس (المتوفى 728 هـ) ج 13 ، ص 339، ناشر : مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي .

إن عناد أمير المؤمنين (ع) جعل ابن تيمية ينكر القاعدة التي اقترحها بنفسه في مكان آخر.

و جلال الدين السيوطي في لباب النقول يقول:

لمعرفة أسباب النزول فوائد وأخطأ من قال لا فائدة له لجريانه مجري التاريخ ومن فوائده الوقوف علي المعني أو إزالة الاشكال قال الواحدي لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف علي قصتها وبيان سبب نزولها وقال ابن دقيق العيد بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن وقال ابن تيمية معرفة سبب النزول يعين علي فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب وقد أشكل علي جماعة من السلف معاني آيات حتي وقفوا علي أسباب نزولها فزال عنهم الإشكال .

لباب النقول في أسباب النزول ، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل (المتوفى 911)، ج 1 ، ص 13 ، ناشر : دار إحياء العلوم - بيروت .

و في كتاب الإتيقان بعد نقل كلام ابن تيمية و ان عدم معرفة شأن نزول الآيات سبب مشاكل لبعض الصحابة، يقول:

و قد أشكل علي مروان بن الحكم معني قوله تعالي « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا » الآية و قال لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذبن أجمعون حتي بين له ابن عباس أن الآية نزلت في أهل الكتاب حين سألهم النبي صلي الله عليه وسلم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره وأروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك إليه أخرجه الشيخان .

و حكي عن عثمان بن مظعون وعمرو بن معدي كرب أنهما كانا يقولان الخمر مباحة ويحتجان بقوله تعالى «ليس علي الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا» الآية و لو علما سبب نزولها لم يقولوا ذلك و هو أن ناسا قالوا لما حرمت الخمر كيف بمن قتلوا في سبيل الله و ماتوا و كانوا يشربون الخمر و هي رجس فنزلت أخرجه أحمد والنسائي وغيرهما .

**الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (المتوفى 911/5/19هـ)، ج 1، ص 88، ناشر: دار الفكر - لبنان - 1416هـ- 1996م، الطبعة: الأولى، تحقيق: سعيد المنذوب .**

### **التمسك بالقرآن من دون السنة ضلال :**

من وظائف رسول الله صلى الله عليه وآله، تبين و تفسير القرآن الكريم؛ كما ان الله تعالى يقول فى آية 44 من سورة النحل هكذا:

وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ.

تدل هذه الآية على أن كلام رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم حجة على كل المسلمين في تفسير القرآن الكريم و تبينه، و على الناس الرجوع إلى أحاديث الرسول الكريم و سنته قبل تفسير القرآن الكريم لكي يتعلموا منه حقيقة تفسير القرآن.

لذلك فإن فهم القرآن و تفسيره مستحيل دون الرجوع إلى سنة رسول الله. و قد روى الخطيب البغدادي، و هو عالم شهير عند اهل السنة، روايات في كتابه الكفاية في علم الرواية، و نذكر منها بعض الأمثلة:

ثنا الأوزاعي عن مكحول قال القرآن أحوج إلي السنة من السنة إلي القرآن قال وقال يحيى بن أبي كثير السنة قاضية علي الكتاب ليس الكتاب قاضيا علي السنة ... .

الأوزاعي عن حسان بن عطية قال كان جبرائيل ينزل علي النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن والسنة تفسر القرآن ... عن الحسن ان عمران بن حصين كان جالسا ومعه أصحابه فقال رجل من القوم لا تحدثونا الا بالقرآن قال فقال له ادنه فدنا فقال رأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلي القرآن أكنت تجد فيه صلاة الظهر أربعاً وصلاة العصر أربعاً والمغرب ثلاثاً تقرأ في اثنتين رأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلي القرآن أكنت تجد الطواف بالبيت سبعا والطواف بالصفاء والمرورة ثم قال اي قوم خذوا عنا فانكم والله إن لا تفعلوا لتضلن ...

حدثني الأوزاعي عن أيوب السخيتاني انه قال إذا حدثت الرجل بالسنة فقال دعنا من هذا وحدثنا من القرآن فاعلم انه **ضال مضل** .

**الكفاية في علم الرواية، أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي (المتوفى 463)، ج 1، ص 14 - 16، ناشر: المكتبة العلمية - المدينة المنورة، تحقيق: أبو عبدالله السورقي، إبراهيم حمدي المدني.**

### **جواب المحور الثاني :**

لكن ابن تيمية يقول إن الاستدلال بآيات القرآن بالاستعانة بالأحاديث لإثبات ولاية أمير المؤمنين ليس حجة قرآنية، و إذا ادعى أحد أن رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم كلّف بإبلاغ ولاية أمير المؤمنين فهو افتراء بالقرآن، لأن القرآن وحده لا يشير إليه فنقول في الجواب:

إذا كان الاستدلال بآيات القرآن بمساعدة الأحاديث هو افتراء على القرآن، فأنت نفسك قد ارتكبت هذا الذنب العظيم مرات عديدة ؛ لأنه عندما يتعلق الأمر بحديث الغار، فأنت تعتبره بشدة من فضائل الخليفة الأول، و تستدل على النحو التالي:

أن الفضيلة في الغار ظاهرة بنص القرآن لقوله تعالي «إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا» (سورة التوبة40) فأخبر الرسول أن الله معه ومع صاحبه كما قال لموسي و هارون «إنني معكما أسمع وأرى» (سورة طه 46) .  
و في الاستمرار لاثبات كلامه يستند الى رواية البخاري و مسلم هكذا:

و قد أخرجنا في الصحيحين من حديث أنس عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال نظرت إلي إقدام المشركين علي رؤوسنا ونحن في الغار ... .  
و كذلك يقول في آية « وَ سَيَجْنِبُهَا الْأَنْتَقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى » (الليل 17 و 18) يستمد بالأحاديث و يدعى ان هذه الآية نزلت في ابي بكر:

و قد ذكر غير واحد من أهل العلم أنها نزلت في قصة أبي بكر فذكر ابن جرير في تفسيره بإسناده عن عبد الله بن الزبير و غيره أنها نزلت في أبي بكر .

و كذلك ذكره ابن أبي حاتم و الثعلبي أنها نزلت في أبي بكر عن عبد الله و عن سعيد بن المسيب و ذكر ابن أبي حاتم في تفسيره حدثنا أبي حدثنا ..

منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني أبو العباس (المتوفى 728 هـ)، ج 8، ص 495، ناشر : مؤسسة قرطبة - 1406،  
الطبعة : الأولى، تحقيق : د. محمد رشاد سالم .

كيف يثبت فضل أبي بكر بأية الغار بنص من القرآن؟ مع أنه لم يرد ذكر اسم من كان في الغار مع رسول الله في القرآن نفسه، وأن ابن تيمية يثبت بالاستعانة بالأحاديث النبوية، فإن مثل هذا الاستدلال ليس افتراءً على القرآن؟؟ أما إذا أثبت الشيعة باستخدام الروايات من كتب السنة أنه في آية الإبلاغ كلف رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بإعلان ولاية أمير المؤمنين، فهل هو افتراء على القرآن؟!

و هل هناك سبب غير العناد مع أمير المؤمنين عليه السلام لمثل هذه المواجهة المزدوجة مع آيات القرآن؟

و من الله التوفيق

فريق الإجابة عن الشبهات

مؤسسة الإمام ولي العصر(عج) للدراسات العلمية